

## سورة «الغاشية»

وهي مكية في قول الجميع، وهي ستٌ وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾

«هل» بمعنى قد، كقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١]؛ قاله قُطْرِبٌ<sup>(١)</sup>. أي: قد جاءك يا محمدُ حديثُ الغاشية، أي: القيامة التي تَغْشَى الخلائقُ بأهوالها وأفزاعها؛ قاله أكثرُ المفسرين.

وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب: «الغاشية»: النار تَغْشَى وجوه الكفار - ورواه أبو صالح عن ابن عباس - ودليله قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]. وقيل: تَغْشَى الخلق.

وقيل: المراد النفخة الثانية للبعث؛ لأنها تَغْشَى الخلائق. وقيل: «الغاشية»: أهل النار يَغْشَوْنَهَا، ويقتحمون فيها. وقيل: معنى «هل أتاك»، أي: هذا لم يكن من عِلْمِكَ، ولا من عِلْمِ قومِكَ، قال ابن عباس: لم يكن أتاه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور هاهنا.

وقيل: أنها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله، ومعناه: إن لم يكن أتاك حديث الغاشية فقد أتاك؛ وهو معنى قول الكلبِيِّ.

قوله: تعالى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾

قال ابن عباس: لم يكن أتاه حديثهم، فأخبره عنهم، فقال: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي:

(١) النكت والعيون ٢٥٧/٦، وزاد المسير ٩٤/٩.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٢/٥ دون قوله: ورواه أبو صالح عن ابن عباس. وأخرجه عن سعيد بن جبير الطبري

يوم القيامة. ﴿خَشَعَةٌ﴾ قال سفيان: أي: ذليلة بالعذاب. وكلُّ متضائلٍ ساكنٍ: خاشعٌ. يقال: خَشَع في صلاته: إذا تَذَلَّل ونَكَّس رأسه. وَخَشَع الصوتُ: خَفِيَ؛ قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨].

والمرادُ بالوجوه أصحابُ الوجوه. وقال قتادةُ وابن زيد: «خاشعةٌ»، أي: في النار<sup>(١)</sup>. والمرادُ وجوهُ الكفارِ كلِّهم؛ قاله يحيى بن سلام. وقيل: أراد وجوه اليهود والنصارى؛ قاله ابنُ عباس<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ فهذا في الدنيا؛ لأنَّ الآخرة ليست دارَ عَمَلٍ. فالمعنى: وجوهٌ عاملةٌ ناصبةٌ في الدنيا، «خاشعةٌ» في الآخرة. قال أهلُ اللغة: يقال للرجل إذا دَأَبَ في سيره: قد عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا. ويقال للسَّحَاب إذا دام بَرْقُهُ: قد عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا. وذا سحابٌ عَمِلٌ. قال الهذليُّ:

حتى شأها كليلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ      باتت طراباً وبات الليل لم ينم<sup>(٣)</sup>

﴿نَاصِبَةٌ﴾ أي: تَعَبَةٌ. يقال: نَصَبَ - بالكسر - يَنْصِبُ نَصَبًا: إذا تَعَبَ، ونَصَبًا أيضاً، وأنصبه غيره. فروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: هم الذين أنصَبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عزَّ وجلَّ، وعلى الكفر، مثل عبدة الأوثان، وكفَّارِ أهلِ الكتاب مثل الرهبان وغيرهم، لا يقبلُ الله جلَّ ثناؤه منهم إلا ما كان خالصاً له<sup>(٤)</sup>.

وقال سعيد عن قتادة: «عاملةٌ ناصبةٌ» قال: تكبَّرت في الدنيا عن طاعة الله عزَّ وجلَّ، فأعمَلها الله وأنصَبها في النار، بجرِّ السلاسل الثِّقال، وحَمَلِ الأغلال،

(١) أخرجه عبد الرزاق ٣٦٨/٢، والطبري ٣٢٨/٢٤ عن قتادة.

(٢) النكت والعيون ٢٥٧-٢٥٨، وأخرج قول ابن عباس ابن أبي حاتم، كما في الدرر المشور ٣٤٠/٦.

(٣) البيت لساعدة بن جؤية، وهو في ديوان الهذليين ١٩٨/١، والكتاب ١١٤/١، والخزانة ١٥٥/٨. قوله: شأها، أي: ساقها. كليل، أي: برق ضعيف. والموهن: القطعة من الليل. والعَمَل: الدائب المجتهد في أمره، الذي لا يفتقر. وباتت طراباً. يعني البقر الوحشية طراباً إلى السير إلى الموضع الذي فيه البرق. وبات الليل لم ينم، أي: بات البرق يبرق ليلته. الخزانة ١٦٠/٨.

(٤) ذكره الوحيد في الوسيط ٤٧٣/٤ من طريق عطاء عن ابن عباس.

والوقوف حُفَاةً عُرَاةً فِي الْعَرَصَاتِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ<sup>(١)</sup>. قَالَ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: لَمْ تَعْمَلْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ تَنْصَبْ لَهُ، فَأَعْمَلَهَا وَأَنْصَبَهَا فِي جَهَنَّمَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: يُجْرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ فِي النَّارِ. وَعَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ: يُكَلَّفُونَ ارْتِقَاءَ جَبَلٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي جَهَنَّمَ، فَيَنْصَبُونَ فِيهَا أَشَدَّ مَا يَكُونُ مِنَ النَّصَبِ، بِمَعَالِجَةِ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَالْخَوْضِ فِي النَّارِ كَمَا تَخَوْضُ الْإِبِلُ فِي الْوَحْلِ، وَارْتِقَائِهَا فِي صَعُودِ مِنْ نَارٍ، وَهَبْوَطِهَا فِي حُدُورِ مِنْهَا؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيِّصِينَ وَعَيْسَى وَحَمِيدٌ، وَرَوَاهَا عَبِيدٌ عَنْ شَبْلِ بْنِ كَثِيرٍ: «نَاصِبَةٌ»<sup>(٤)</sup> بِالنَّصَبِ عَلَى الْحَالِ. وَقِيلَ: عَلَى الذَّمِّ. الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ عَلَى الصُّفَةِ، أَوْ عَلَى إِضْمَارٍ مَبْتَدَأً، فَيُوقَفُ عَلَى «خَاشِعَةٌ». وَمَنْ جَعَلَ الْمَعْنَى فِي الْآخِرَةِ، جَازَ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا بَعْدَ خَبْرٍ عَنْ «وَجُوهٌ»، فَلَا يُوقَفُ عَلَى «خَاشِعَةٌ».

وَقِيلَ: «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ»، أَي: عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا نَاصِبَةٌ فِي الْآخِرَةِ. وَعَلَى هَذَا يَحْتَمَلُ: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا، نَاصِبَةٌ فِي الْآخِرَةِ، خَاشِعَةٌ. قَالَ عِكْرَمَةُ وَالسُّدِّيُّ: عَمِلْتُ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي<sup>(٥)</sup>. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: هُمْ الرُّهْبَانُ أَصْحَابُ الصَّوَامِعِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٦)</sup>. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي رِوَايَةِ الضَّحَّاكِ عَنْهُ. وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ الشَّامَ أَتَاهُ رَاهِبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٢٨/٢٤ دُونَ قَوْلِهِ: بِجَرِّ السَّلَاسِلِ... ، وَالْعَرَصَاتُ جَمْعُ عَرَصَةٍ، وَهِيَ كُلُّ مَوْضِعٍ وَاسِعٍ لَا بِنَاءَ فِيهِ. اللِّسَانُ (عَرَصٌ).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٢٨/٢٤.

(٣) تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ ٤/٤٧٨.

(٤) الْمُحْتَسَبُ ٢/٣٥٦، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٥/٤٧٢.

(٥) ذَكَرَ قَوْلَهُمَا الْبَغْوِيُّ ٤/٤٧٨، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ٩/٩٥ وَلَفْظُهُ: عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي نَاصِبَةٌ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٦) ذَكَرَ قَوْلَهُمُ الْوَاحِدِيُّ فِي الْوَسِيطِ ٤/٤٧٣.

مُتَقَهِّلٌ، عليه سوادٌ، فلَمَّا رآه عمرُ بَكَى. فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، ما يُبْكِيكَ؟ قال: هذا المسكين طلبَ أمراً فلم يُصِبْه، ورجاً رجاءً فأخطأه، وقرأ قول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَلِيعَةٌ غَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾<sup>(١)</sup>. قال الكسائي: التَقَهَّلُ: رثاءُ الهيئة، ورجلٌ مُتَقَهِّلٌ: يابسُ الجِلْدِ سَيِّئُ الحال، مثل المتقحل. وقال أبو عمرو: التَقَهَّلُ: شَكْوَى الحاجة، وأنشد:

لَعُوا إِذَا لَاقِيَتْهُ تَقَهَّلًا<sup>(٢)</sup>.

والقَهْلُ: كُفْرانُ الإحسان. وقد قَهَلَ يَقْهَلُ قَهْلًا: إذا أَتَى ثناءً قبيحاً. وأقْهَلَ الرجلُ: تكلَّفَ ما يعيبُهُ ودَسَّ نَفْسَهُ. وانقَهَلَ: ضَعُفَ وسَقَطَ؛ قاله الجوهري<sup>(٣)</sup>.  
وعن عليٍّ ؑ: أنهم أهلُ حُرُورَاءٍ، يعني الخوراجَ الذين ذكَّروهم رسول الله ﷺ فقال: «تَحْقِرُونَ صَلَاتِكُمْ مع صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَكُمْ مع صِيَامِهِمْ، وأَعْمَالَكُمْ مع أَعْمَالِهِمْ، يَمُرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمُرُقُ السُّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ» الحديث<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾

أي: يُصِيبُهَا صِلَاؤُهَا وحرُّها ﴿حَامِيَةً﴾ شديدة الحرِّ، أي: قد أوقدت وأحيمت المدة الطويلة. ومنه حَمِيَ النهارُ بالكسر، وحمِيَ التنورُ حمياً فيهما، أي: اشتدَّ حرُّه. وحكى الكسائي: اشتدَّ حميُّ الشمسِ وحمَّوْها، بمعنى<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه عبد الرزاق ٣٦٨/٢، والحاكم ٥٢١-٥٢٢، والواحدي في الوسيط ٤٧٣/٤ بنحوه من طريق أبي عمران الجوني عن عمر.

(٢) وقبلة: فلا تكونن ريكاً تتلا، وهو في الصحاح (قهل) والكلام منه، وأساس البلاغة. (قهل)، واللسان (قهل) (وذمل). قوله: لعوا، اللعو: السِّيءُ الخلق، والشَّره الحريص. القاموس (لعو).

(٣) في الصحاح (قهل).

(٤) ينظر حديث أبي سعيد الخدري ؑ عن أحمد (١١٠٠٨) و(١١٢٩١) و(١١٥٧٩)، والبخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

(٥) الصحاح (حمى).

وقرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب: «تُضَلَّى» بضم التاء. الباقون بفتحها<sup>(١)</sup>. وقرئ: «تُضَلَّى» بالتشديد<sup>(٢)</sup>. وقد تقدّم القول فيها في ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾<sup>(٣)</sup>.

الماوردي<sup>(٤)</sup>: فإن قيل: فما معنى وَضَفِّهَا<sup>(٥)</sup> بِالْحَمِي وهي لا تكون إلا حامية، وهو أقلُّ أحوالها، فما وَجَهُ المبالغة بهذه الصفة الناقصة؟

قيل: قد اختلف في المراد بالحامية ها هنا على أربعة أوجه:

أحدها: أن المراد بذلك أنها دائمة الحمي، وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها.

الثاني: أن المراد بالحامية أنها حمي [يمنع] من ارتكاب المحظورات، وانتهاك المحارم، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمِي، وَإِنَّ حِمِي اللَّهِ مَحَارِمُهُ، وَمَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمِي يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»<sup>(٦)</sup>.

الثالث: أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها، أو ترام مماسستها، كما يحمي الأسد عرينه، ومثله قول النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأيد الحامي<sup>(٧)</sup>

(١) السبعة ص ٦٨١، والتيسير ص ٢٢١، والنشر ٢/٤٠٠.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٧٢.

(٣) ص ١٦٠ من هذا الجزء.

(٤) في النكت والعيون ٦/٢٥٨-٢٥٩.

(٥) في النسخ الخطية: صفتها.

(٦) أخرجه مطولاً أحمد (١٨٣٧٤)، والبخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير.

(٧) طبقات الفحول ١/٥٧، والأغاني ١/٧٩، وتهذيب اللغة ١٥/٧٦، ونسب للزبرقان كما في جمهرة الأمثال للعسكري ١/٥٤٠، والصحاح (نفر). قال ابن سلام: سألت يونس عن البيت فقال: هو للنايفة، أظن الزبرقان استزاده في شعره، كالمثل حين جاء موضعه، لا مجتلباً له. اهـ. ووقع في المصادر عدا الأغاني: وتتي مريض المستنفر الحامي. قال الأزهرى: استنفر الكلب: إدخاله ذنبه بين فخذه حتى يلزقه ببطنه.

الرابع: أنها حامية حمي غيظ وغضب؛ مبالغة في شدة الانتقام. ولم يُرد حمي جرم وذات، كما يقال: قد حمي فلان: إذا اغتاط وغضب عند إرادة الانتقام. وقد بين الله تعالى هذا المعنى بقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨].

### قوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آٰنِيَةٍ﴾ ﴿٥﴾

الآني: الذي قد انتهى حره؛ من الإيذاء، بمعنى التأخير. ومنه «آنيت وآذيت»<sup>(١)</sup>. وآناه يُؤنيه إيذاء، أي: أخره وحبسه وأبطأه ومنه: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرِ آٰنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]. وفي التفاسير: «من عين آنية»، أي: تناهى حرها؛ فلو وقعت نقطة منها على جبال الدنيا لذابت<sup>(٢)</sup>. وقال الحسن: «آنية» أي: حرها أدرك<sup>(٣)</sup>؛ أو قدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وزدا عطاشاً<sup>(٤)</sup>. وعن ابن أبي نجيج عن مجاهد قال: بلغت إناها، وحن شربها<sup>(٥)</sup>.

### قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ﴾ أي: لأهل النار. ﴿طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ لَمَا ذَكَرَ شَرَابَهُمْ ذَكَرَ طَعَامَهُمْ. قال عكرمة ومجاهد: الضريح، نبت ذو شوك لاصق بالأرض، تُسميه قريش الشبرق إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو الضريح، لا تقربه دابة ولا بهيمة، ولا ترعاه، وهو سم قاتل، وهو أخبث الطعام وأشنع. على هذا عامة المفسرين<sup>(٦)</sup>، إلا أن الضحاك روى عن ابن عباس قال: هو شيء يرمي به البحر، يُسمى الضريح، من أقوات الأنعام لا الناس، فإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع، وهلك هزلاً. والصحيح ما

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٩٧).

(٢) تفسير الرازي ١٥٣/٣١.

(٣) في (د) ادرك.

(٤) الوسيط ٤/٤٧٤ دون قوله: أي حرها أدرك.

(٥) أخرجه الطبري ٣٣٠/٢٤.

(٦) تفسير الطبري ٣٣١-٣٣٢، وتفسير البغوي ٤/٤٧٨، وتفسير الرازي ٣١/١٥٣.

قاله الجمهور: أنه نَبْتُ. قال أبو ذؤيب:

رَعَى الشُّبْرَقَ الرِّيَّانَ حَتَّى إِذَا ذَوَى وَعَادَ ضَرِيحاً بَانَ عَنْهُ النَّحَائِصُ<sup>(١)</sup>

وقال الهذليُّ وذكَّرَ إبلاً وسوءَ مرعاها:

وَحُبِسْنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيحِ فَكَلَّهَا حَذْبَاءُ دَائِمِيَّةِ الْيَدَيْنِ حَرُودُ<sup>(٢)</sup>

وقال الخليل: الضَّرِيحُ: نباتٌ أخضرٌ مُتَنُّ الرِّيحِ، يَرْمِي به البحر.

وقال الواليُّ عن ابن عباس: هو شجرٌ من نار<sup>(٣)</sup>، ولو كانت في الدنيا لأخرقت

الأرض وما عليها.

وقال سعيد بن جبير: هو الحجارة. وقاله عكرمة<sup>(٤)</sup>.

والأظهرُ أنه شجرٌ ذو شوكة حَسَبَ ما هو في الدنيا. وعن ابن عباس عن النبي ﷺ

قال: «الضريحُ: شيءٌ يكونُ في النارِ، يُشبه الشوكَ، أشدُّ مرارةً من الصَّبْرِ، وأنتنُ من

الجيفة، وأحرُّ من النارِ، سمَّاه الله ضريحاً»<sup>(٥)</sup>.

وقال خالد بن زياد<sup>(٦)</sup>: سمعتُ المتوكلَ بنَ حمدان<sup>(٧)</sup> يُسألُ عن هذه الآية:

(١) الكشاف ٤/٢٤٥، وتفسير الرازي ٣١/١٥٣، ولم تقف عليه في ديوان الهذليين. قوله: النحائص، هي جمع نحوص: وهي الناقة الشديدة السَّمَنِ. القاموس (نحص).

(٢) البيت لقيس بن عيزارة، وهو في ديوان الهذليين ٣/٧٣. قال الشارح: الهَزْمُ: ما تكسَّر من الضريح. وحرود: لا تكاد تُدْر.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/٣٣٣، وزاد المسير ٩/٩٦.

(٤) أخرجه عن سعيد بن جبير الطبري ٢٤/٣٣٢، وذكره عن عكرمة النحاس في إعراب القرآن ٥/٢١١.

(٥) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/٤٧٤، وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/٣٤٢، وسنده واه كما ذكر السيوطي.

(٦) الأزدي، أبو عبد الرحمن الترمذي، قال ابن حبان: يروي عن نافع صحيفة مستقيمة، وعن قتادة الحرف بعد الحرف، مات وهو ابن مئة سنة وسنة، وكان على القضاء بترمز. الثقات ٦/٢٦٣، وتهذيب التهذيب ١/٥١٩.

(٧) لعله المتوكل بن حمران البلخي، ذكره ابن حبان في الثقات ٩/١٩٨ وقال: من العبَّاد، يروي عن كثير ابن زياد وأبي سهل، روى عنه أهل بلده.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾. قال: بلغني أن الضريع شجرة من نار جهنم، حملها القيح والدم، أشد مرارة من الصبر، فذلك طعامهم. وقال الحسن: هو بعض ما أخفاه الله من العذاب.

وقال ابن كيسان: هو طعام يضرعون عنده ويدلّون، ويتضرعون منه إلى الله تعالى طلباً للخلاص منه، فسمي بذلك لأن أكله يضرع في أن يعفى منه، لكرهته وحشونته<sup>(١)</sup>. قال أبو جعفر النحاس: قد يكون مشتقاً من الصارع، وهو الذليل، أي: ذو ضراعة، أي: من شربه ذليل تلحفه ضراعة. وعن الحسن أيضاً: هو الزقوم<sup>(٢)</sup>. وقيل: هو وادٍ في جهنم. فالله أعلم.

وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦]. وقال هنا: ﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ وهو غير الغسلين. ووجه الجمع: أن النار ذرّكات؛ فمنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد<sup>(٣)</sup>. قال الكلبي: الضريع في درجة ليس فيها غيره، والزقوم في درجة أخرى. ويجوز أن تحمل الآيتان على حالتين كما قال: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِينَ﴾ [الرحمن: ٥٥].

القُتبي<sup>(٤)</sup>: ويجوز أن يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار، أو من جوهر لا تأكله النار. وكذلك سلاسل النار وأغلاؤها، وعقاربها وحياتها، ولو كانت على ما نعلم ما بقيت على النار. قال: وإنما دلنا الله على الغائب عنده، بالحاضر عندنا، فالأسماء متفقة الدلالة، والمعاني مختلفة. وكذلك ما في الجنة من شجرها وفُرشها.

القُشيري: وأمثلة من قول القُتبي أن نقول: إن الذي يُبقي الكافرين في النار ليدوم

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩٧/٩ مختصراً.

(٢) بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٥/٢١١.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٤٨، وتفسير الرازي ٣١/١٥٤.

(٤) في تأويل مشكل القرآن ص ٥٠.

عليهم العذاب، يُبقي النبات وشجرة الزقوم في النار ليعذب بها الكفار. وزعم بعضهم أَنَّ الضَّرِيعَ بَعَيْنُهُ لَا يَنْبُتُ فِي النَّارِ، وَلَا أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَهُ. فَالضَّرِيعُ مِنْ أَقْوَاتِ الْأَنْعَامِ، لَا مِنْ أَقْوَاتِ النَّاسِ. وَإِذَا وَقَعَتِ الْإِبِلُ فِيهِ لَمْ تَشْبَعْ، وَهَلَكْتَ هَزَلًا، فَارَادَ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَمُوتُونَ بِمَا لَا يُشْبِعُهُمْ، وَضَرَبَ الضَّرِيعَ لَهُ مَثَلًا، أَنَّهُمْ يَعَذَّبُونَ<sup>(١)</sup> بِالْجُوعِ كَمَا يَعَذَّبُ مَنْ قُوَّتُهُ الضَّرِيعُ.

قال الترمذي الحكيم: وهذا نظرٌ سقيمٌ من أهله وتأويلٌ ذنيٌّ، كأنه يدلُّ على أَنَّهُمْ تَحَيَّرُوا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنَّ الَّذِي أَثْبَتَ فِي هَذَا التَّرَابِ هَذَا الضَّرِيعَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْبِتَهُ فِي حَرِيقِ النَّارِ، كَمَا<sup>(٢)</sup> جَعَلَ لَنَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا، فَلَا النَّارُ تُحْرِقُ الشَّجَرَ، وَلَا رَطوبَةُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ تُظْفِقُ النَّارَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنشَرْتُمُوهُ تُوقِدُونَهُ﴾ [يس: ٨٠]. وكما قيل حين نزلت ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧]، قالوا: يا رسول الله، كيف يمشون على وجوههم؟ فقال: «الذي» أمشاهم على أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ<sup>(٣)</sup>. فلا يتحيرُ في مثلِ هذا إلا ضعيفُ القلب. أوليس قد أخبرنا أنه ﴿كُلَّمَا نَفِخَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وقال: ﴿سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ أي: قِيدَ دَا ﴿وَحَجِيمًا . وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٢-١٣] قيل: ذا شوك. فَإِنَّمَا يَتَلَوَّنُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

قوله تعالى: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ﴾ ﴿٧﴾

يعني الضَّرِيعَ لَا يُسْمِنُ أَكَلَهُ. وَكَيْفَ يَسْمَنُ مَنْ يَأْكُلُ الشُّوكَ! قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ إِبِلَنَا لَتَسْمَنُ بِالضَّرِيعِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي

(١) في تأويل مشكل القرآن ص ٤٩ (والكلام منه): أو يعذبون، بدل: أنهم يعذبون.

(٢) قوله: كما، ليس في (م).

(٣) أخرجه أحمد (١٣٣٩٢)، والبخاري (٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس ؓ، وأخرجه أحمد

(٨٦٤٧) من حديث أبي هريرة ؓ.

من جوع<sup>(١)</sup>. وكذبوا، فإنَّ الإبل إنما ترعاه رطباً، فإذا يبسَ لم تأكله<sup>(٢)</sup>. وقيل: اشتبه عليهم أمره فظنَّوه كغيره من النَّبْتِ النافع؛ لأنَّ المضارعةَ: المشابهة، فوجدوه لا يُسَمِّنُ<sup>(٣)</sup> ولا يغني من جوع.

قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي: ذاتُ نعمة. وهي وجوهُ المؤمنين، نَعِمَتْ بما عايَنْتْ من عاقبة أمرها وَعَمَلِهَا الصالح. ﴿لِسَعْيِهَا﴾ أي: لعملها الذي عَمَلَتْه في الدنيا. ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخرة حين أُعْطِيَتْ الجنةَ بِعَمَلِهَا. وَمَجَازُهُ: لثوابِ سَعْيِهَا راضيةً. وفيها واوٌ مُضْمَرَةٌ، المعنى: ووجوهٌ يومئذٍ، للفصل بينها وبين الوجوه المتقدمة. والوجوهُ عبارةٌ عن الأنفس.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: مُرْتَفَعَةٍ؛ لأنَّها فوق السماوات حَسَبَ ما تقدَّم. وقيل: عالية القَدْرِ؛ لأنَّ فيها ما تُشْتَهِيه الأنفُسُ وتَلذُّ الأَعْيُنُ، وهم فيها خالدون.

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾﴾

أي: كلاماً ساقطاً غيرَ مَرْضِيٍّ. وقال: «لاغية»، واللغو واللغا واللأغية: بمعنى واحد؛ قال:

عَنِ اللَّغَا وَرَقَّتِ التَّكَلِّمُ<sup>(٤)</sup>

وقال الفراء والأخفش: أي: لا تسمعُ فيها كلمةً لغوٍ<sup>(٥)</sup>. وفي المراد بها ستُّهُ

(١) معاني القرآن للزجاج ٣١٧/٥، والوسيط ٤/٤٧٥، والكشاف ٤/٢٤٦، وتفسير البغوي ٤/٤٧٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/٤٧٩.

(٣) في (د): لا يشبع.

(٤) البيت للعجاج، وهو في ديوانه ص ٢٨٣، وقبلة: ورَبَّ أسرابٍ حجيجٍ كُظْمٍ. أقسم برَبِّ أسرابٍ حجيجٍ، وأسراب الحجيج: جماعات الحاج. والكظْم: السكوت. شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٢٥٩.

(٥) النكت والعيون ٦/٢٦٠، وقول الأخفش في معاني القرآن ٢/٧٣٧. ولم نقف عليه في معاني القرآن للفراء.

أَوْجُوهُ: أحدها: يعني كذباً وبُهتاناً وكفراً بالله عز وجل؛ قاله ابن عباس. الثاني: لا باطل ولا إثم؛ قاله قتادة. الثالث: أنه الشتم؛ قاله مجاهد. الرابع: المعصية؛ قاله الحسن<sup>(١)</sup>. الخامس: لا يُسْمَعُ فيها حالفٌ يحلفُ بكذبٍ؛ قاله الفراء<sup>(٢)</sup>. وقال الكلبي: لا يُسْمَعُ في الجنة حالفٌ بيمينٍ برّوةٍ ولا فاجرة<sup>(٣)</sup>. السادس: لا يُسْمَعُ في كلامهم كلمةٌ تُلغى؛ لأنَّ أهلَ الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمةِ وحَمْدِ الله على ما رَزَقَهُم من النعيم الدائم؛ قاله الفراء أيضاً<sup>(٤)</sup>. وهو أحسنها لأنه يَعْمُ ما ذُكِر.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: «لا يُسْمَعُ» بياءٍ غير مسمّى الفاعل. وكذلك نافع، إلا أنه بالتاء المضمومة<sup>(٥)</sup>؛ لأنَّ اللاغية اسمٌ مؤنثٌ فأنث الفعل لتأنيثه. ومَن قرأ بالياء فلا نه حالٌ بين الاسم والفعل الجارُّ والمجرور. وقرأ الباقون بالتاء مفتوحةً، «لاغية» نضباً<sup>(٦)</sup>، على إسنادٍ ذلك للوجه، أي: لا تسمعُ الوجوهُ فيها لاغيةً.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٧﴾ فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرِّيٌّ مَبْنُوءَةٌ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أي: بماءٍ مُندَفِقٍ، وأنواع الأشربة اللذيذة على وَجْهِ الأرضِ من غيرِ أخذود. وقد تقدّم في سورة الإنسان<sup>(٧)</sup> أنَّ فيها عيوناً، فـ«عين» بمعنى: عيون. والله أعلم.

﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾ أي: عالية. ورُوي أنه كان ارتفاعها قَدْرَ ما بين السماءِ

(١) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/٢٦٠، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق ٢/٣٦٨، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٤/٣٣٥.

(٢) في معاني القرآن ٣/٢٥٧.

(٣) النكت والعيون ٦/٢٦٠.

(٤) النكت والعيون ٦/٢٦١، ولم نقف عليه في معاني القرآن للفراء.

(٥) ومَن قرأ بهاتين القراءتين قرأ: «لاغية» بالرفع. السبعة ص ٣٨١، والتيسير ص ٢٢٢.

(٦) في (م): نضاً.

(٧) ٤٥٦/٢١.

والأرض، ليرى ولي الله ملكه حوله.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ أي: أباريق وأوان. والإبريق: هو ماله عروة وخرطوم. والكوب: إناء ليس له عروة ولا خرطوم. وقد تقدّم هذا في سورة «الزخرف»<sup>(١)</sup> وغيرها.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ أي: وسائد، الواحدة: نُمْرُقَة. ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: واحدة إلى جنب الأخرى، قال الشاعر:

وإنا لنَجْرِي الكأسَ بين شُروبنا      وبين أبي قابوسَ فوقَ النَّمَارِقِ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

كُهولٌ وشَبَّانٌ حِسانٌ وجوهُهُم      على سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَنَمَارِقِ<sup>(٣)</sup>  
وفي «الصحاح»: النُمْرُقُ والنُمْرُقَةُ: سادة صغيرة. وكذلك النُمْرُقَة - بالكسر - لغة حكاه يعقوب. وربما سَمَوَا الطَّنْفِيسَةَ التي فوق الرِّحْلِ نُمْرُقَة؛ عن أبي عبيد<sup>(٤)</sup>.

﴿وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ﴾: قال أبو عبيدة<sup>(٥)</sup>: الزرابي: البسط. وقال ابن عباس: الزرابي: الطنافس التي لها حَمْلٌ رقيقٌ، واحدها: زريبة<sup>(٦)</sup>. وقاله الكلبي والفراء<sup>(٧)</sup>. والمبثوثة: المبسوطة؛ قاله قتادة. وقيل: بعضها فوق بعض؛ قاله عكرمة. وقيل: كثيرة؛ قاله الفراء. وقيل: متفرقة في المجالس؛ قاله القتيبي<sup>(٨)</sup>.

(١) ٨١/١٩ - ٨٢.

(٢) البيت للفرزدق، وهو في الكامل للمبرد ١٣٦٩/٣. قوله: شُروبنا، الشُّروب: القوم يشربون. القاموس (شرب).

(٣) نسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٧٤/٥ لزهير، ولم نقف عليه في ديوانه.

(٤) الصحاح (نمرق).

(٥) في مجاز القرآن ٢/٢٩٦.

(٦) تكسر زايتها وتفتح وتضم. النهاية (زرب).

(٧) في معاني القرآن ٣/٢٥٨، وذكره عن الكلبي الماوردي في النكت والعيون ٦/٢٦١.

(٨) النكت والعيون ٦/٢٦١-٢٦٢. وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٤/٣٣٨، وقول الفراء في معاني =

قلت: هذا أَضَوْبٌ، فهي كثيرة متفرقة. ومنه: ﴿وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾

[البقرة: ١٦٤].

وقال أبو بكر الأنباري: وحدثنا أحمد بن الحسين، قال: حدثنا حسين بن عرفة، قال: حدثنا عمار بن محمد، قال: صليتُ خلف منصور بن المعتمر، فقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنَشِيَّةِ﴾، وقرأ فيها: «وَرَزَابِي مَبْنُوثةٌ مَتَكْتِبِينَ فِيهَا نَاعِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ﴿١٧﴾

قال المفسرون: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَ أَهْلِ الدَّارَيْنِ، تَعَجَّبَ الكُفَّارُ مِنْ ذَلِكَ، فَكَذَّبُوا وَأَنْكَرُوا، فَذَكَرَهُمُ اللهُ صِنْعَتَهُ وَقُدْرَتَهُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا خَلَقَ الحَيَوَانَاتِ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ. ثُمَّ ذَكَرَ الإِبِلَ أَوَّلًا، لِأَنَّهَا كَثِيرَةٌ فِي الْعَرَبِ، وَلَمْ يَرَوْا الفِيلَةَ، فَنَبَّهَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى عَظِيمِ مِنْ خَلْقِهِ، قَدْ ذَلَّلَهُ لِلصَّغِيرِ يَقُوذُهُ وَيُنِيحُهُ وَيُنْهَضُهُ، وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ الثَّقِيلَ مِنَ الحِمْلِ وَهُوَ بَارِكٌ، فَيُنْهَضُ بِثِقَلِ حِمْلِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الحَيَوَانَاتِ غَيْرِهِ. فَأَرَاهُمْ عَظِيمًا مِنْ خَلْقِهِ، مَسْحَرًا لِصَغِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ يَدُلُّهُمْ بِذَلِكَ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ.

وعن بعض الحكماء: أَنَّهُ حَدَّثَ عَنِ البَعِيرِ وَبَدِيعِ خَلْقِهِ، وَقَدْ نَشَأَ فِي بِلَادِ إِبِلَ فِيهَا، فَفَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: يَوْشِكُ أَنْ تَكُونَ طَوَالَ الأَعْنَاقِ. وَحِينَ أَرَادَ بِهَا أَنْ تَكُونَ سَفَاتِنَ البَرِّ، صَبَّرَهَا عَلَى إِحْتِمَالِ العَطَشِ، حَتَّى إِنَّ إِظْمَاءَهَا لِيَرْتَفِعُ إِلَى العَشْرِ فِصَاعِدًا، وَجَعَلَهَا تَرَعَى كُلَّ شَيْءٍ نَابِتٍ فِي البَرَارِيِّ وَالْمَفَاوِزِ، مِمَّا لَا يَرَعَاهُ سَائِرُ البِهَائِمِ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: لَمَّا ذَكَرَ السُّرْرَ المَرْفُوعَةَ قَالُوا: كَيْفَ نَضَعُهَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الإِبِلَ تَبْرُكُ حَتَّى يُحْمَلَ عَلَيْهَا ثُمَّ تَقُومُ، فَكَذَلِكَ تَلِكُ السُّرْرُ تَتَّطَامُنُ ثُمَّ تَرْتَفِعُ. قَالَ

= القرآن ٢٥٨/٣، وقول ابن قتيبة في تفسير الغريب ص ٥٢٥. وقول عكرمة أخرجه عبد بن حميد

وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٣٤٣/٦.

(١) الخبر في كتاب المصاحف لابن الأنباري، كما في الدر المنثور ٣٤٣/٦.

(٢) الكشف ٢٤٧/٤.

معناه قتادة ومقاتل وغيرهما<sup>(١)</sup>.

وقيل: الإبل هنا القَطْعُ العظيمة من السحاب؛ قاله المبرّد<sup>(٢)</sup>. قال الثعلبي: وقيل في الإبل هنا: السحاب، ولم أجد لذلك أصلاً في كتب الأئمة.

قلت: قد ذَكَرَ الأصمعيُّ أبو سعيد عبد الملك بن قُريب، قال أبو عمرو: مَنْ قرأها: «أفلا ينظرون إلى الإبلِ كيف خُلِقَتْ» بالتخفيف: عنى به البعير؛ لأنّه من ذوات الأربع، يَبْرُكُ فتُحْمَلُ عليه الحمولة، وغيره من ذوات الأربع لا يُحْمَلُ عليه إلاّ وهو قائم. ومَنْ قرأها بالثقل فقال: «الإبلُ» عنى بها السحاب التي تحمل الماء للمطر<sup>(٣)</sup>.

وقال الماوردي<sup>(٤)</sup>: وفي الإبل وجهان: أحدهما - وهو أظهرهما وأشهرهما - : أنّها الإبلُ من النَّعَم. الثاني: أنّها السَّحَابُ. فإن كان المرادُ بها السحاب، فلِمَا فيها من الآيات الدالّة على قُدْرَتِهِ، والمنافع العامّة لجميع خَلْقِهِ. وإن كان المرادُ بها الإبلُ من النَّعَم، فلأنّ الإبلَ أجمعُ للمنافع من سائر الحيوان؛ لأنّ ضُروبَهُ أربعة: حَلُوبية، ورَكُوبية، وأكُولة، وحَمُولية. والإبلُ تجمع هذه الخلال الأربعة، فكانت النعمة بها أعمّ، وظهورُ القدرة فيها أتمّ.

وقال الحسن: إنّما خصّها الله بالذكرِ لأنها تأكلُ النوى والقَتّ، وتُخرِجُ اللَّبن. وسئل الحسن أيضاً عنها وقالوا: الفيلُ أعظمُ في الأعجوبة! فقال: العربُ بعيدةُ العهدِ بالفيل، ثم هو خنزيرٌ لا يُؤكل لحمه، ولا يُركبُ ظهْرُهُ، ولا يُحلبُ دَرُهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير البغوي ٤/٤٨٠ وزاد المسير ٩/٩٩ عن قتادة دون قوله: وبين أن الإبل تبرك . . .

(٢) المحرر الوجيز ٥/٤٧٤، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/٢١٣، والماوردي في النكت والعيون ٦/٢٦٢ دون نسبة.

(٣) اللسان (أبل)، وذكر قول أبي عمرو مختصراً ابن خالويه في القراءة الشاذة ص ١٧٢.

(٤) في النكت والعيون ٦/٢٦٢.

(٥) الوسيط ٤/٤٧٦، وتفسير البغوي ٤/٤٨٠.

وكان شَرِيح يقول: اخرجوا بنا إلى الكُنَاسَة حتى ننظرَ إلى الإبل كيف خُلِقَتْ<sup>(١)</sup>.  
والإبل: لا واحد لها من لفظها، وهي مؤنثة؛ لأنَّ أسماء الجموع التي لا واحد  
لها من لفظها إذا كانت لغير آدميين فالتأنيثُ لها لازم، وإذا صغَّرتها دَخَلَتْها الهاءُ،  
فقلتُ: أَيْبَلَةٌ وُعُنَيْمَةٌ، ونحو ذلك. وربما قالوا للإبل: إِبْلٌ، بسكون الباء للتخفيف،  
والجمع: آبال<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَالِى  
الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي: رُفِعَتْ عن الأرض بلا عَمَد. وقيل:  
رُفِعَتْ، فلا ينالها شيء. ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي: كيف نُصِبَتْ على الأرض  
بحيث لا تزول، وذلك أن الأرض لَمَّا دُجِيت مادت، فأرساها بالجبال، كما قال:  
﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١].

﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بُسِطَتْ ومدَّت. وقال أنس: صَلَّيْتُ خلف  
عليٍّ ؑ، فقرأ: «كَيْفَ خَلَقْتُ» و«رَفَعْتُ» و«نُصِبْتُ» و«سَطَّحْتُ»، بضم التاءات<sup>(٣)</sup>؛  
أضاف الضمير إلى الله تعالى. وبه كان يقرأ محمد بن السَّمِيفَع وأبو العالية،  
والمفعول محذوف، والمعنى: خلقتها. وكذلك سائرُها.

وقرأ الحسن وأبو حَيوة وأبو رجاء: «سُطَّحَتْ» بتشديد الطاء وإسكان التاء<sup>(٤)</sup>.  
وكذلك قرأ الجماعة، إلا أنهم خَفَّفُوا الطاء. وقَدَّمَ الإبل في الذكر، ولو قَدَّمَ غيرها  
لجاز.

(١) أخرجه الطبري ٣٣٩/٢٤، والكناسة: محلَّة بالكوفة. معجم البلدان ٤٨١/٤.

(٢) الصحاح (إبل).

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٢، والمحتسب ٣٥٦/٢.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٧٢، والمحتسب ٣٥٦/٢ عن هارون الرشيد، وذكرها عن الحسن ابن عطية في

المحرر الموجز ٤٧٥/٥.

قال القشيري: وليس هذا ممّا يُطلب فيه نوعُ حكمة. وقد قيل: هو أقرب إلى الناس في حقّ العرب، لكثرتها عندهم، وهم من أعرفِ الناس بها. وأيضاً: مرافق الإبل أكثر من مرافق الحيوانات الأخر، فهي مأكولة، ولبنها مشروب، وتصلح للحمل والركوب، وقطع المسافات البعيدة عليها، والصبر على العطش، وقلة العلف، وكثرة الحمل، وهي مُعظم أموال العرب. وكانوا يسيرون على الإبل منفردين مستوحشين عن الناس، ومنّ هذا حاله تفكّر فيما يحضره، فقد ينظر في مركوبه، ثم يمد بصره إلى السماء، ثم إلى الأرض. فأَمِروا بالنظر في هذه الأشياء؛ فإنها أدل دليل على الصانع المختار القادر.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فِعَذْبَةُ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فعِظْهُم يا محمد وخوفْهُم. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: واعِظْ. ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أي: بمسلّط عليهم فتقتلهم. ثم نَسَخْتَهَا آيَةُ السَّيْفِ. وقرأ هارون الأعور: «بِمُسَيِّرٍ» بفتح الطاء، و«المُسَيِّرُونَ» [الطور: ٣٧]. وهي لغة تميم<sup>(١)</sup>.

وفي «الصّحاح»: المُسَيِّر والمُصَيِّر: المُسلّط على الشيء، ليُشرف عليه، ويتعهّد أحواله، ويكتب عمله، وأصله من السّطر؛ لأنّ الكتاب مُسَطَّر<sup>(٢)</sup>، والذي يفعلهُ مُسَطَّرٌ ومُسَيِّرٌ؛ يقال: سَيَطَّرْتُ علينا، وقال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾.

(١) البحر ٨/٤٦٤. قال الزمخشري في الكشاف ٤/٢٤٨: قيل: هو في لغة تميم مفتوح الطاء، على أن سيطر متعدّ عندهم، وقولهم: تَسَيَّرَ، يدل عليه.

(٢) في (م): لأن من معنى السطر ألا يتجاوز فالكتاب مسطر، وفي النسخ الخطية: لأن معنى السطر ألا يتجاوز فالكتاب مسطر، والمثبت من الصحاح (سطر)، ومثله في اللسان (سطر).

وَسَطَّرَهُ، أَي: صَرَعه.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ استثناء مُنْقَطِعٌ، أَي: لكنَّ مَنْ تَوَلَّى عن الوعظ والتذكير  
﴿فِيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ وهي جهنم الدائم عذابها - وإنما قال: «الأكبر» لأنهم  
عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والأسر والقتل - ودليل هذا التأويل قراءة ابن  
مسعود: «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَإِنَّهُ يَعَذِّبُهُ اللَّهُ» (١).

وقيل: هو استثناء متَّصِلٌ، والمعنى: لَسْتُ بِمَسْلُطٍ إِلَّا على مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ، فانت  
مُسَلَّطٌ عليه بالجهاد، والله يعذِّبه بعد ذلك العذاب الأكبر، فلا نَسَخَ في الآية على هذا  
التقدير.

وَرُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا أُتِيَ بِرَجُلٍ ارْتَدَّ، فاستتابه ثلاثة أيام، فلم يُعاود الإسلام، فضرب  
عنقه، وقرأ: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٢).

وقرأ ابن عباس وقتادة: «أَلَا» على الاستفتاح والتنبيه (٣)، كقول امرئ القيس:

أَلَا رَبِّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهِنَّ صَالِحٌ (٤)

و«مَنْ» على هذا: للشرط. والجواب: «فيعذِّبه الله» والمبتدأ بعد الفاء مُضْمَرٌ،  
والتقدير: فهو يعذِّبه الله؛ لأنه لو أُريدَ الجواب بالفعل الذي بَعْدَ الفاء لكان: أَلَا مَنْ  
تَوَلَّى وَكَفَرَ يَعَذِّبُهُ اللَّهُ (٥).

﴿إِنَّ إِيْتِنَا إِيَابَهُمْ﴾ أَي: رُجوعهم بعد الموت. يقال: أَبَ يَأُوبُ، أَي: رجع. قال

عبيد:

(١) الكشاف ٤/٢٤٨.

(٢) أخرجه بنحوه مطولاً دون ذكر الآية البيهقي ٨/٢٠٦.

(٣) المحتسب ٢/٣٥٧.

(٤) وعجزه: ولا سيما يوم بدارة جلجل، وهو في الديوان ص ١٠. قال شارح الديوان: دارة جلجل:  
موضع يقال له: الحمى. والدار والدارة واحد.

(٥) المحتسب ٢/٣٥٧.

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَأْوُبُ      وغائبُ الموتِ لا يَأْوُبُ<sup>(١)</sup>  
 وقرأ أبو جعفر: «إِيَابُهُمْ» بالتشديد<sup>(٢)</sup>. قال أبو حاتم: لا يجوز التشديد، ولو جاز  
 لجاز مثله في الصيام والقيام. وقيل: هما لغتان بمعنى. الزمخشري<sup>(٣)</sup>: وقرأ أبو جعفر  
 المدني: «إِيَابُهُم» بالتشديد، ووجهه أن يكون فيعالاً: مصدر أَيْبَ فَيَعَلَّ من الإِيَابِ<sup>(٤)</sup>.  
 أو أن يكون أصله إَوَّاباً فَعَّالاً من أَوَّبَ، ثم قيل: إِيَوَّاباً، كديوان في دَوَّان. ثم فُعِلَ  
 [به] ما فُعِلَ بأصل سَيِّدٍ<sup>(٥)</sup> ونحوه.

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٢٦ .

(٢) النشر ٢/٤٠٠ ، وما سيأتي بين حاصرتين منه .

(٣) في الكشف ٤/٢٤٨ .

(٤) ويقال منه: أَيْبَ يُوَيْبُ إِيَاباً، والأصل: أَيْوَبُ يُؤْوِبُ إِيَوَّاباً - كَيَطَّرُ يُبَيِّطِرُ - ثم قلبت الواو ياءً وأدغمت  
 الياء المزيدة فيها، فإِيَابَ على هذا: فيعال. ينظر الدر المصون ١٠/٢٧٢-٢٧٣ .

(٥) يعني أن أصله: سَيِّوِدُ، فقلبت الواو ياءً وأدغمت. الدر المصون ١٠/٢٧٣ .